التجسس الاسرائيلي على العقل العربي
(دراسة في التجربة المصرية)

رفعت سيد أحمد

المتأمل لخارطة الصراع العربي ـ الصهيوني طيلة النصف القرن الماضي يلحظ حقائق هامة عدة، يأتي في مقدمها غلبة الطابع والاداء العسكري على مجمل تعاملات الكيان الصهيوني تجاه الاطراف العربية المحيطة به، وتجاه العرب من الفلسطينيين الذين يعيشون تحت وطأته منذ العام ١٩٤٨.

وثمة حقيقة ثانية، هي ان الدعم الخارجي المنظم، والمتتالي، من دول الغرب، على اختلافها، يمثل أحد ركائز البقاء الصهيوني في المنطقة العربية. بيد ان هناك حقيقة ثالثة هامة، يرصدها المتأمل لخارطة الصراع، وهي ان التلاحم بين رجال الفكر ومؤسساتهم داخل الكيان الصهيوني، وبين أجهزة المخابرات والتجسس المعروفة، حالياً، باسم «الموساد» يعد امراً طبيعياً، في ظل شعور الصهيونيين بغربتهم وشذوذهم وسط منطقة وتاريخ يلفظانهم. وكان من الطبيعي ان نقرأ ان ٧٠ بالمئة على الاقل من رجال وزارة الخارجية الاسرائيلية تربّوا، سياسياً وثقافياً، داخل مؤسسات الموساد الاسرائيلي.

ان هذه الحقيقة هي التي تفسر لنا كثافة الاهتمام الصهيوني، بعد توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد، بقراءة ودراسة صلب المجتمع العربي من خلال النموذج المصغر له، والمتمثل هنا في المجتمع المصري؛ وان تلك القراءة ترمي، بوجه عام، الى هدف استراتيجي خطير، وهو تفتيت المنطقة العربية الى كيانات صغيرة يسهل افتراسها، وان هذا التفتيت لن يمكنه ان يتم دونما دراسة وتقص لجميع نقاط الضعف والقوة في الجسد العربي، لان مصر هي الدولة الوحيدة ـ كما يرى البعض ـ القادرة على الوقوف في وجه هذا المخطط الثقافي. لذا، فان التعامل معها لا بد وان يكون سريعاً وبمنطق الدولة الطائفية، وان يدمر من خلال «النموذج المصري» كل ما له صلة بالامن القومي العربي، أو باستراتيجيات ادارة الصراع مع اسرائيل[١].

ولم يكن غريباً ان يظلل شبح هذا الترابط بين التجسس العقلي وبين رجال السياسة، في اثناء مفاوضات السلام بين حكومتي مصر واسرائيل قبيل توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد[٢]، وان يوافق الرئيس المصري انور السادات وقتها على كل المطالب «الثقافية» الاسرائيلية، بما فيها انشاء مركز اكاديمي اسرائيلي في القاهرة.

ان هذا التداخل التاريخي بين «التجسس» وما يطلق عليه «الفكر» بالنسبة الى الكيان الصهيوني، يأتي ليمثل اخطر التحديات المقبلة على العقل الجمعي العربي. فتفتيت الجسد، بعد دراسته والسيطرة عليه واستغلاله، اقتصادياً وثقافياً وسياسياً، ثم ربطه بعجلة التبعية المحكمة